الشيخ الصدوق وآرائه التفسيرية في كتاب التوحيد

Al-Sheikh Al-Saduq and his interpretive opinions in the Book of Al-Tawheed

م.م أحمد قاسم طالب مطشر
Asst. Inst. Ahmed Qasim Talib

مديرية تربية ذي قار
Dhi Qar Education Directorate

الملخص

كان للشيعة منذ العصور الأولى دور في تفسير القرآن الكريم وبيان معانيه وقد ضبط تاريخ التفسير أسماء ما ينوف على ألفين ومائتي تفسير عند الشيعة الامامية ومن هؤلاء الأعلام الشيخ الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي فقد حوت كتبه على كثير من الآراء التفسيرية، فقد كان لهرحمه الله أثر كبير في تفسير وتبيين كلام الله سبحانه وكان مما دفعني للكتابة في هذا الموضوع هو عدم تطرق الباحثين للكتابة في هذا المجال وعدم تطرقهم لبيان الآراء التفسيرية له على الرغم من أهميتها وكثرتها ولأن تفسيره فقد ولم يصل الينا شيء منه لذا رأيت من المناسب جمع آراءه التي كانت مبعثرة في بطون مؤلفاته فجمعتها في مكان واحد في هذه الدراسة والتي اسميتها بعنوان (الشيخ الصدوق وآرائه التفسيرية في كتاب التوحيد) وكان منهجي في هذه الدراسة هو المنهج الاستقصائي التحليلي حيث تتبعت جميع آراءه التفسيرية في كتابه (التوحيد) وجمعتها في مكان ثم قمت بدراستها ومقابلتها مع آراء سائر المفسرين ثم بعدها أقوم أما بالجمع أو الترجيح بين الأقوال.

وقد خرج البحث بعدة نتائج منها إن الشيخ الصدوق بل وسائر علماء الإمامية كان لهم الاهتمام الكبير في تبيين وتدريس والإهتمام بالقرآن الكريم فهم لم يهتموا بجانب دون آخر بل إن محدثهم كان مفسر وفقيه ومتكلم وهكذا ومنها: كان الشيخ الصدوق يفسر القرآن الكريم وفق ما موجود في ذهنه وما وصل اليه من أحاديث أئمة الهدىعليهم السلام أو بالرجوع الى أقوال أهل اللغة والاختصاص في المجال فهو لا يخرج كثيرا عن المنهج الروائي.

الكلمات المفتاحية: الأقوال التفسيرية، الشيخ الصدوق، كتاب التوحيد.

Abstract

Sincethe early ages , the Shiites had a role in the interpretation of the Noble Qur'an and its meanings and , the history of interpretation has set the names of more than two thousand and Muhammad bin Ali bin Babayyah two hundred interpretations of .Al - Qummi May God Almighty havemercy onhim had a (great impact on the interpretation and clarification of the words of God Almighty and , what prompted me to write onthis subject was the lack of research by researchers to write in this field and their failure to explain the explanatory opinionsto itdespite its importance and abundance and , because its interpretation has not reached us , so I saw it appropriate He collected his opinions of his books so I , collected that were scattered in the stomachs them in one place in this , study which I called - entitled (Sheikh Al Saduq and his Exegetical Views in the Book of Tawheed I .(studied it and interviewed it with the opinions of other commentators and , then I either collect or give preference between the sayings and , the research came out with several results , including that - Sheikh Al Saduq and even other Imamischolars had great interest in explaining and Teaching and paying attention to the Noble Qur'an for , they did not care about an one aspectwithout the other. Rather , their speaker was , interpreter , a jurist , a speaker , and so onincluding Sheikh Al : Saduq used to interpret the Noble Qur'an according to what was inhis mind and what he reached from the hadiths of the Imams of guidance) peace be upon them or by referring to (the sayings of the people of language and specialization in The field does. not deviate much from the narrative method

Keywords: interpretive opinions, Al-Sheikh Al-Saduq, Book of Tawheed

المقدمة

الحمد لله الأول بلا أول كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، خلق الليالي والأيام، وجعل بينهما الأقسام، فتبارك الله الملك العلام، والصلاة والسلام على الرسول المؤيد، والنبي المسدد، الحبيب الأحمد وعلى آله الأطياب الأطهار الأخيار، ما طلعت شمس وما أضاء قمر.

لقد من الله سبحانه علينا من نعمه مالا يحصى ولا يعد حيث يقول سيد الشهداء الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة "لو حاولت واجتهدت مدى الاعصار والأحقاب لو عمرتها أن أؤدي شكر واحدة من أنعمك ما استطعت ولو حرصت أنا والعادون من أنامك" وهو القائل: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا**﴾[1]، فكان من نعمه أن أرسل الأنبياء ﴿**..كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ**﴾[2]، وكان أشرفهم منزلة، وأعلاهم كرامة وخاتمهم هو نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، وأنزل معه القرآن كتاب الله الناطق والوعد الصادق، ثم أتم نعمته -سبحانه- علينا أن جعلنا من أمته، وفتح لنا سبل معرفته لاستخراج درر مكنونات آياته فقال عز من قائل: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**﴾[3].

فكان أول من انبرى لتوضيح آياته هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله انطلاقاً من مسؤوليته في التشريع قال جل ملكه: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[4].

فكان صلى الله عليه وآله يباشر التفسير بنفسه، أو يجيب على الأسئلة التي توجه اليه عن القرآن ومعانيه، ويشرح النص القرآني في المناسبات التي يفرضها الموقف، لما يتمتع به من دور قيادي في المجتمع، فكانت السنة شارحة للقرآن مبيئة له[5].

فشكل الرسولﷺ حلقات دراسية لتدارس القرآن، وأخذ يسعى في تربية الصحابة الأكفاء، فاشتهر منهم عدد بتفسير القرآن، وكان في طليعتهم أميرالمؤمنين ومولى الموحدينعليه السلام، وابن عباس في مكة، وابن مسعود في الكوفة، وأبي في المدينة، وأبوموسى الأشعري في البصرة، وأبوالدرداء في الشام، فأتموا عملهم على أكمل وجه، حتى نشأ جيل من التابعين تحمل مسؤولية حفظ القرآن وبيانه، ثم أخذت المدارس التفسيرية بالظهور، واخذت الأساليب التفسيرية بالتنوع والازدهار، حتى بلغ المصنفات الى المئات في التفسير(٦).

فكان من بين الذين اهتموا بدراسة كتاب الله والإهتمام به هو الشيخ الصدوق حيث ألف تفسيراً للقرآن الكريم ولكنه ضاع ولم يبق منه شيئاً سوى بعض الآراء التفسيرية المنتشرة في ثنايا كتبه و اقتضى العمل في هذا المشروع.

الهدف من البحث:

ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع ما تميز به من الأهمية من حيث:

أ) التعرف على شخصية الشيخ الصدوقرحمه الله، فقد كان له باع طويلة، في شتى صنوف المعرفة، فقد كانرحمه الله فقيها ومحدثاً.

ب) في دراسة آراء الشيخ الصدوقرحمه الله فائدة كبيرة في التعرف على منهجه في التفسير.

ج) أنه كان له كتاب في التفسير ولكننا لا نجد له أي أثر اليوم عدا بعض آراءه المنتشرة في ثنايا كتبه.

د) أثر هذه الآراء في تكوين العقل الشيعي وتأثيرها على من جاء بعدهقدس سره من العلماء الأفذاذ رحم الله الماضين منهم وحفظ الباقين حيث قبلوا بعض آرائه وناقشوا في بعضها، ولكن كان لها من الأهمية ما لها وذلك لقربهرحمه الله من زمن صدور النص.

«المبحث الأول»

حياة الشيخ الصدوق الشخصية

اسمه ولقبه: الشيخ الأجل الأعظم، المحدثين، محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه، أبوجعفر الصدوق القمي قدس سره أمره في العلم والفهم والفقاهة والجلالة والوثاقة وكثرة التصنيف وجودة التأليف فوق أن تحيطه الأقلام ويحويه البيان، وقد بالغ في أطرائه والثناء عليه كل من تأخر عنه وترجمه أو استفاد من كتبه الثمينة، وأقروا له بالوجاهة والشيخوخية والوثاقة، ونحن هنا نسرد بعض أقوالهم في الثناء عليه.

قال الشيخ الطوسي: "كان جليلا حافظا للأحاديث، بصيرا بالرجال، ناقدا للأخبار، لم ير في القميين مثله في حفظه، واكثر علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف"[٧]. وذكره

النجاشي بقوله: "أبوجعفر نزيل الري، شيخنا، و فقيهنا، ووجه الطائفة في خراسان وكان ورد بغداد سنة (٣٥٥ هـ) وسمع منه شيوخ الطائفة وهو حدث السن"[٨].

ولادته: ولد الشيخ في قم، ولم نعلم على وجه الدقة سنة ولادته، ولكن يستفاد من كتابه (كمال الدين) ومن (عدة الشيخ الطوسي) المتوفي سنة (٤٦٠ للهجرة) أن ولادته كانت بعد وفاة محمد بن عثمان العمري ثاني السفراء اربعة والمتوفي سنة (٣٠٥ للهجرة) وفي أول سفارة أبي القاسم الحسين بن روح ثالث السفراء المتوفي (٣٢٦ للهجرة)[٩].

قال الشيخ الصدوق في كتابه كمال الدين وتمام النعمة: حدثنا أبوجعفر محمدبن علي الأسود رضي الله عنه قال سألني علي بن الحسين بن موسى بن بابويه رضي الله عنه أن اسأل أبا القاسم الحسين بن روح أن يسأل مولانا صاحب الزمان عليه السلام أن يدعو الله عز وجل أن يرزقه ولداً ذكراً، قال: فسألته فأنهى ذلك، ثم أخبرني بعد ذلك بثلاثة أيام أنه قد دعا لعلي بن الحسين وأنه سيولد له ولد مبارك ينفع الله تعالى به وبعده أولاد.قال أبوجعفر محمد بن علي الأسود: وفولد لعلي بن الحسين رضي الله عنه محمدبن علي وبعده أولاد[١٠].

وذكر النجاشي في ترجمة والد الشيخ الصدوق أنه قدم الى العراق واجتمع مع أبي القاسم الحسين بن روح وسأله مسائل، ثم كاتبه بعد ذلك على يد علي بن جعفر بن الأسود أخذ يسأله أن يوصل له رقعة للأمام صاحب الأمر ويسأله فيها الولد فكتب له: قد دعونا الله لك بخير، وسترزق، ولدين ذكرين خيرين، فولد له أبو جعفر، وأبو عبدالله من أم ولد[١١].

«المبحث الثاني»

منهج الشيخ الصدوق في التفسير

نستطيع أن نقول بمليء الفم أن شيخنا الصدوق كان موسوعة لجميع العلوم الدينية ولذا عندما ننظر في مصنفاته نجده من الفقهاء أجلهم ومن المتكلمين أجلهم ومن المفسرين أروعهم لذا نجده في آرائه التفسيرية لا يعتمد منهج واحد بل نراه لغوياً تارة ومتكلماً أخرى وفقيها ثالثة وهكذا ونحن هنا مع مراعات مقام الاختصار نتطرق لبعض آرائه رحمه الله مع أيراد بعض آراء المفسرين وننظر وجه الشبه والإختلاف بينهم.

من خلال تتبعنا للأقوال التفسيرية للشيخ الصدوق رحمه الله وجدنا أن منهجية الشيخ في التفسير لا يخرج عن كونه إما تفسيراً بالرجوع للآيات القرآنية الأخرى، وأما بالرجوع الى السنة المطهرة من حديث الرسول الأكرم وأهل بيته عليهم السلام، وإما بالاعتماد على الأقوال اللغوية، وإما تفسيراً عقلياً وإن لم يكن عقلياً محضاً بالمعنى المتعارف، وإنما معتدا على ما في ذهنه مما وصله من أحاديث أهل البيت عليهم السلام. ونستطيع أن نلخص منهجه فيما يلي:

١) منهجه في تفسير القرآن بالقرآن

ويعرف بأنه توضيح آيات القرآن بواسطة آيات أخرى وبيان مقصودها[١٢].

وهو من أقدم المناهج في تفسير القرآن وقد استحسنه الكثير من المفسرين، وعدوه من أفضل الطرق في تفسير القرآن يقول العلامة الطباطبائي في هذا المجال بعد إيراد بعض المطالب في التفسير: "....و ذلك على أحد وجهين، أحدهما: أن نبحث بحثا و علميا أو فلسفيا أو غير ذلك عن مسألة من المسائل التي تتعرض له الآية حتى نقف على الحق في المسألة، ثم نأتي بالآية و نحملها عليه، و هذه طريقة يرتضيها البحث النظري، غير أن القرآن لا يرتضيها كما عرفت.

و ثانيهما: أن نفسر القرآن بالقرآن و نستوضح معنى الآية من نظيرتها بالتدبر المندوب إليه في نفس القرآن، و نشخص و المصاديق و نتعرفها بالخواص التي تعطيها الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾. و حاشا أن يكون القرآن تبيانا لكل شيء و لا يكون و تبيانا لنفسه، وقال تعالى: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾. الآية و قال و تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً﴾. وكيف يكون القرآن هدى و بيئة و فرقانا و نورا مبينا للناس في جميع ما يحتاجون منه، و لا يكفيهم في احتياجهم إليه، و هو و ' أشد الاحتياج! و قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ و أي جهاد أعظم من بذل بذلك الجهد في فهم كتابه! و أي سبيل أهدى فيهم من القرآن"![١٣] اتبعه الشيخ الصدوق ومن الأمثلة على ذلك:

أولا: في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[١٤].

قال: "إن الله يهدي ويضل معناه أنه عز وجل يهدي المؤمنين في القيامة إلى الجنة ويضل الظالمين في القيامة عن الجنة إنما قال عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[١٥] وقال عز وجل: ﴿وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ﴾[١٦][١٧].

ثانياً: قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[١٨].

إن الله عز وجل إنما يريد بعبد سوءا لذنب يرتكبه فيستوجب به أن يطبع على قلبه ويوكل به شيطانا يضله، ولا يفعل ذلك به إلا باستحقاق وقد يوكل عز وجل بعبده ملكا يسدده باستحقاق أو تفضل ويختص برحمته من يشاء، وقال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[١٩][٢٠].

٢) منهجه في تفسير القرآن بالسنة

والسنة: "هي كل ما يصدر عن المعصوم قولاً أو فعلاً أو تقريراً، من دون فرق بين أن يكون المعصوم نبياً وبين أن يكون إماماً، ومن غير فرق بين ما يصدر عنهم في شؤون الدين أو الدنيا"[٢١].

ونقصد بتفسير القرآن بالسنة هو: "استفادة المفسر من سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها"[٢٢].

وقد ظهر هذا النوع من المنهج بعد رحلة النبي صلى الله عليه وآله، ومن المعروفين في سلوك هذا المنهج بعد عهد الرسالة عبد الله بن عباس، وهو القائل: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب عليه السلام وحسبك هذه الشهادة من ترجمان القرآن.

وقد ذاع هذا المنهج من القرن الأول إلى عصرنا هذا، فظهر بين المفسرين من يكتفون في التفسير بالأثر المروي ولا يتجاوزون عنه، حتى أن بعض المفسرين لا يذكر الآية التي لا يجد حولها أثراً من النبي والأئمة، كما هو ديدن تفسير البرهان للسيد البحراني. كان الشيخ الصدوق رحمه الله يفسر بعض آيات القرآن الكريم بما ورد فيها من السنة المطهرة، وهي كثيرة جداً في مصنفاته، ونحن هنا نقتصر بذكر ما أفرده الشيخ الصدوق في مؤلفاته بعنوان (باب في تفسير قوله تعالى...) رعاية للاختصار وعدم الإطالة، ومنها:

أولا: في تفسير (بسم الله الرحمن الرحيم)

وفي تفسيرها أورد الشيخ خمسة أحاديث:

١) حدثنا محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضي الله عنه، قال: أخبرنا أحمدبن محمدبن سعيد مولى بني هاشم، عن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، قال: سألت الرضا علي بن موسى عليهما السلام عن بسم الله، قال: معنى قول القائل الله أي أسم على نفسي سمة من سمات الله عز وجل وهي العبادة قال: فقلت له: ما السمة؟ فقال: العلامة.

٢) حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعدبن عبد الله، عن أحمد بن محمد، عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن (بسم الله الرحمن الرحيم)، فقال: الباء بهاء الله، والسين سناء الله والميم مجد الله. وروي بعضهم: ملك الله، والله إله كل شيء، الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة.

٣) حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفار،، عن العباس بن معروف، عن صفوان بن يحيى، عمن حدثه، عن أبي عبدالله عليه السلام أنه سئل عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال: الباء بهاء الله، و السين سناء الله، والميم ملك الله، قال: قلت: الله؟ قال: الألف آلاء الله على خلقه من النعيم بولايتنا، واللام.

إلزام الله خلقه ولايتنا، قلت: فالهاء؟ قال: هوان لمن خالف محمدا وآل محمد صلوات الله عليهم، قال: قلت: الرحمن؟ قال: بجميع العالم، قلت: الرحيم؟ قال: بالمؤمنين خاصة.

٤) حدثنا أبي رحمه الله، قال: حدثنا سعدبن عبد الله، عن سلمة بن الخطاب عن القاسم بن يحيى، عن جده الحسن بن راشد، عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: سألته عن معنى الله، قال: استولى على ما دق وجل.

٥) حدثنا محمد بن القاسم الجرجاني رحمه الله قال: حدثنا أبويعقوب يوسف بن محمدبن زياد، وأبوالحسن علي بن محمدبن سيار ويعد من الشيعة الإمامية عن أبويهما عن الحسن بن علي بن محمد عليهم السلام في قول الله عز وجل: (بسم الله الرحمن الرحيم)؟ من كل من هو دونه، وتقطع الأسباب من جميع ما سواه، يقول: بسم الله أي أستعين على أموري كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له، المغيث إذا استغيث، والمجيب إذ دعي، ثم قال الصادق عليه السلام: ولربما ترك بعض شيعنا في افتتاح أمره بسم الله الرحمن الرحيم فيمتحنه الله بمكروه لينبهه على

شكر الله تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قول بسم الله الرحمن الرحيم. قال: وقام رجل إلى علي بن الحسين عليهما السلام فقال: أخبرني عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: حدثني أبي، عن أخيه الحسن، عن أبيه أمير المؤمنين عليهم السلام أن رجلا قام إليه: فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن بسم الله الرحمن الرحيم ما معناه؟ فقال: إن قولك: (الله) أعظم اسم من أسماء الله عز وجل وهو الاسم الذي لا ينبغي أن يسمي به غير الله ولم يتسم به مخلوق، فقال الرجل فما تفسير قوله: (الله)؟ قال الذي يتأله فيه عند الحوائج، والشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من جميع من هو دونه، وتقطع الأسباب من كل سواه، وذلك أن كل متريس في هذه الدنيا ومتعظم فيها وإن عظم غناؤه و طغيانه و كثرت حوائج من دونه إليه فإنهم سيحتاجون حوائج لا يقدر عليها هذا المتعاظم، وكذلك هذا المتعاظم يحتاج حوائج لا يقدر عليها، فينقطع إلى الله عند ضرورته وفاقته حتى إذا كفي همه عاد إلى شركه، أما تسمع الله عز وجل يقول: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُكُم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللهِّ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللهِّ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاء وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ**﴾[٢٣] فقال الله عز وجل لعباده: أيها الفقراء إلى رحمتي إني قد ألزمتكم الحاجة إلي في كل حال، وذلة العبودية في كل وقت، فإلي فافزعوا في كل أمر تأخذون فيه وترجون تمامه وبلوغ غايته فإني إن أردت أن أعطيكم لم يقدر غيري على منعكم وإن أردت أن أمنعكم لم يقدر غيري على إعطائكم، فأنا أحق من سئل، وأولى من تضرع إليه، فقولوا عند افتتاح كل أمر صغير أو عظيم: بسم الله الرحمن الرحيم أي أستعين على هذا الأمر بالله الذي لا يحق العبادة لغيره، المغيث إذا استغيث، المجيب إذا دعي، الرحمن الذي يرحم ببسط الرزق علينا، الرحيم بنا في أديانا ودنيانا وآخرتنا، خفف علينا الدين وجعله سهلا خفيفا، وهو يرحمنا بتميزنا من أعدائه ثم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من حزنه أمر تعاطاه فقال: (بسم الله الرحمن

الرحيم) وهو مخلص لله يقبل بقلبه إليه لم ينفك من إحدى اثنتين: إما بلوغ حاجته في الدنيا وإما يعد له عند – ربه ويدخر لديه، وما عند الله خير وأبقى للمؤمنين[٢٤].

ثانياً: في تفسير قوله تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ وَقُضِيَ الأَمْرُ وَإِلَى اللهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾[٢٥].

١) حدثنا محمد بن إبراهيم بن أحمد بن يونس المعاذي، قال: حدثنا أحمد ابن محمدبن سعيد الكوفي الهمداني، قال: حدثنا علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه، عن الرضا علي بن موسى عليه السلام قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلآئِكَةُ**﴾ قال: يقول: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ**﴾، وهكذا نزلت[٢٦].

في الآية بأن هؤلاء المكذبين حالهم حال من ينتظر ما أوعدناهم به من القضاء على طبق ما يختارونه من اتباع خطوات الشيطان و الاختلاف و التمزق، و ذلك بأن يأتيهم الله في ظلل من الغمام و الملائكة، و يقضي الأمر من حيث لا يشعرون، أو بحيث لا يعبأ بهم و بما يقعون فيه من الهلاك، و إلى الله ترجع الأمور، فلا مفر من حكمه و قضائه، فالسياق يقتضي أن يكون قوله: هل ينظرون، هو الوعيد الذي أوعدهم به في قوله تعالى في الآية السابقة فاعلموا أن الله عزيز حكيم.

فهذه الآية تتضمن الوعيد الذي ينبىء عنه قوله سبحانه في الآية السابقة: إن الله عزيز حكيم، و من الممكن أن يكون وعيدا بما سيستقبل القوم في الآخرة يوم القيامة. وقول العلامة الطباطبائي بعد أن أورد الرواية: "أقول: قوله عليه السلام يقول هل ينظرون، معناه يريد هل ينظرون فهو تفسير للآية و ليس من قبيل القراءة"[٢٧]. ثالثاً: في تفسير قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ....**﴾[٢٨].

وفيه حديثان:

١) أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد الله، قال: حدثنا أحمدبن أبي – عبدالله البرقي، عن أبيه، عن علي بن نعمان، عن إسحاق بن عمار، عمن سمعه عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال في قوله الله عز وجل: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ لم يعنوا أنه هكذا، ولكنهم قالوا: قد فرغ من الأمر، فلا يزيد ولا ينقص، فقال الله جل جلاله تكذيبا لقولهم: ﴿**غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ ألم تسمع الله عز وجل يقول: ﴿**يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**﴾.

٢) حدثنا محمدبن الحسن بن أحمد بن الوليد رحمه الله، قال: حدثنا محمد ابن الحسن الصفار، عن محمد بن عيسى، عن المشرقي، عن عبد الله بن قيس عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: سمعته يقول: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ فقلت: له يدان هكذا، وأشرت بيدي إلى يده، فقال: لا، لو كان هكذا لكان مخلوقاً[٢٩].

وضحت الروايتان إن المراد من اليد ليست هي اليد المادية والتي كانت مرتسمة في ذهن السائل حتى أنه قال للأمام (يدان هكذا وأشار الى يديه) وفي مقام الإجابة وضع الإمام دليل عقلي إذ قال لو كانت له سبحانه يدين كتلك اليدين لكان مخلوقاً بل هو كناية عن القدرة والقوة وانبساط السلطنة وفيها رد على اليهود حيث كانوا يقولون: قد فرغ من الأمر و لا يحدث غير ما قدره في التقدير الأول. فكان الرد عليهم أن الله يقدم و يؤخر، و يزيد و ينقص و له البداء و المشية.

٣) منهجه في تفسير القرآن باللغة العربية

إن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، قال سبحانه: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ* بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ**﴾[٣٠] ومعرفة اللغة العربية فرع معرفة علم النحو والاشتقاق والصرف.

وقوله سبحانه: ﴿**فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً**﴾[٣١]. وقد استدل الشيخ الصدوق تعالى – في اللغة العربية في التفسير ومن ذلك:

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**﴾[٣٢].

الجنب الطاعة في لغة العرب، يقال: هذا صغير في جنب الله أي: في طاعة الله عز وجل، فمعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا جنب الله أي أنا الذي ولايتي طاعة الله، قال الله عز وجل: ﴿**أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ**﴾ أي في طاعة الله عز وجل[٣٣].

٤) منهجه في تفسير القرآن بالعقل

قد يطلق التفسير العقلي، ويراد منه تفسير الآيات من منظار العقل الفطري السليم والبراهين الواضحة غير الملتوية، والأمور الثابتة في الشريعة[٣٤]، وهذا ما نقصده في هذا المبحث فقد كان الشيخ الصدوق قدس سره يستخدم العقل في توضيح وتبيين بعض الآيات القرآنية خصوصاً وقد ذكرنا سابقاً أن له الكثير من المناظرات مع المشبهة والملحدين وأشباههم، ثم إنني هنا لا أدعي أن الشيخ الصدوق كان يفسر القرآن الكريم تفسيراً عقلياً محضاً بمعناه المتعارف المرتسم بالأذهان، بل أقصد من هذا المبحث هو تبيين الصدوق لبعض الآيات الكريمة تبييناً من دون الرجوع الى صريح الرواية وإن كان تفسيره قد يكون راجع الى ما هو مرتكز في ذهنه من روايات ومن ذلك: المورد

الأول: في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾[٣٥].

قال: إن المشبهة تتعلق بهذه الآية ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ أي ثم نقل إلى فوق السماوات وهو مستول عليه ومالك له، وقوله عز وجل: (ثم) إنما لرفع العرش إلى مكانه الذي هو فيه ونقله للاستواء فلا يجوز أن يكون معنى قوله: (استوى) استولى لان استيلاء الله تبارك وتعالى على الملك وعلى الاشياء ليس هو بأمر حادث، بل لم يزل مالكا لكل شيء ومستوليا على كل شيء، وإنما ذكر عز وجل الاستواء بعد قوله: (ثم) وهو يعني الرفع مجازا،... وهو يعني بذلك ثم رفع العرش لاستيلائه عليه، ولم يعن بذلك الجلوس واعتدال البدن لان الله لا يجوز أن يكون جسما ولا ذا بدن، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا[٣٦].

في هذا المورد يرد الشيخ الصدوق على المشبهة الذين تمسكوا ببعض الآيات القرآنية التي وصفت الله سبحانه ببعض الصفات التي تشبه صفات عباده تعالى الله فأضافوها اليه فقالوا إن له وجه كالوجوه ويد كالأيدي ومن الآيات التي تمسكوا بها هي هذه الآية فقالوا هو يجلس على الكرسي كما يجلس سائر الملوك تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، بل هو كناية عن الاستيلاء على الملك وتدبير الأمر، وانبساط سلطنته سبحانه

المورد الثاني: وفي قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ....﴾[٣٧].

قال: عني بذلك: أولم يتفكروا في ملكوت السماوات والارض وفي عجائب صنعها، أولم ينظروا في ذلك نظر مستدل معتبر، فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عز وجل من السماوات والارض مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد وتسكينه إياها بغير آله، فيستدلوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنه لا يشبه الاجسام ولا ما يتخذ

الكافرون إلها من دون الله عز وجل، إذ كانت الاجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الاجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة، فيعرفوا بذلك خالق السماوات والارض وسائر الاجسام، ويعرفوا أنه لا يشبهها و لا تشبهه في قدرة الله وملكه وأما ملكوت السماوات والارض فهو ملك الله لها و اقتداره عليها، وأراد بذلك، أولم ينظروا ويتفكروا في السماوات والارض في الخلق الله عز وجل إياهما على ما يشاهدونها عليه، فيعلموا أن الله عز وجل هو مالكها والمقتدر عليها لأنها مملوكة مخلوقة، وهي في قدرته وسلطانه وملكه، فجعل نظرهم في السماوات والارض وفي خلق الله لها نظرا في ملكوتها وفي ملك الله لها لان الله عز وجل لا يخلق إلا ما يملكه ويقدر عليه، وعنى بقوله: ﴿**وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ**﴾ يعني: من أصناف خلقه، فيستدلون به على أن الله خالقها وأنه أولى بالإلهية من الاجسام المحدثة المخلوقة[٣٨].

«المبحث الثالث»

مدى تأثير آراء الصدوق بمن بعده

لقد تأثر العلماء بالشيخ الصدوق رحمه الله في كثير من المسائل فكانت آراءه صامدة فتبعه فيها الكثير منهم وكما ذكرنا سابقا أن لآراء الشيخ الصدوق مكانة عالية وتأثيراً كبيراً في بناء الفكر الأمامي حتى عدها بعظهم بمنزلة النص المنقول والخبر المأثور كما ذكر ذلك عن العلامة المجلسي[٣٩].

كما ناقش بعض العلماء بعض آرائه وردوها أذ لم يرتض بعض العلماء فهمه لبعض الروايات التي أوردها ولما كانت هذه الآراء منسجمة كثيرا مع كلام أهل البيت ومنبثقة من روايات أهل العصمة فكانت آرائه عبارة عن محاولة لفهمها فكانت آرائه صامدة إلا أن فهم بعض العلماء لتلك الروايات أختلف عن فهمه قدس سره.

فلو رجعنا الى المثال السابق حول قصة نبي الله سليمان على نبينا وآله وعليه الصلاة السلام وتفسير الصدوق لها نجد بعض العلماء اعتمدوا فهم الشيخ لها فمثلاً العلامة الطباطبائي يقول: "فطفق مسحاً بالسوق والأعناق" أي شرع يمسح ساقيه وعنقه ويأمر أصحابه أن يمسحوا سوقهم وأعناقهم وكان ذلك وضوئهم ثم صلى وصلوا، وقد ورد ذلك في بعض روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام[٤٠].

أما الفيض الكاشاني قدس سره فقد نقل كلام الشيخ الصدوق من كتاب من لا يحضره الفقيه كاملاً في بيانه للمسألة[٤١].

وكذلك السيد محمد محمد صادق الصدر قدس سره بعد سرد كلام طويل في القصة ثم يخرج بنتيجة يقول فيها: وإنما كان سليمان يخاطب الملائكة أنه ردوا علي الشمس ثم بدأ يتوضأ للصلاة وكان وضوؤهم يحتوي على المسح بالسوق والأعناق[٤٢].

الجمع بين آرائه وآراء غيره من المفسرين

كان الشيخ الصدوق رحمه الله بجانب كونه محدثا كبيرا، بل من أكابر محدثي الإمامية، فقد كان مفسراً بارعاً، عارفاً بالتفسير، وإن كان تفسيره لم يصل الينا، ولكن ما هو متناثراً في ثنايا كتبه من تبيين لبعض الآيات يدل على مدى علم الرجل وسعة اطلاعه وفهمه لكتاب الله سبحانه.

من الواضح إن الشيخ كان يعتمد في تفسير القرآن بالدرجة الأساس على ما في ذهنه من أحاديث أهل البيت عليهم السلام التي وصلته، والتي كانت بين يديه، أو كان يعتمد على قول أهل اللغة وما عليه مشهور الفرقة كما سيتبين في هذا المبحث.

أما طريقتي في هذا المبحث سوف أذكر الآيات مرتبة على ترتيب سور القرآن وآياته ثم أذكر رأي الشيخ الصدوق وبعده أقوم بجمع آراء بعض المفسرين واختلافهم في معنى الآيات، وبيان مدى تأثير الشيخ بمن جاء بعده من المفسرين، ثم محاولة الجمع بين رأي الشيخ الصدوق وآراء غيره إن أمكن الجمع أو ترجيح بعضها على بعض، وكما يأتي:

الأول: في قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ* صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾(٤٣).

قال الشيخ الصدوق رحمه الله "أنه جسر جهنم، وأن عليه ممر جميع الخلق، قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً**﴾(٤٤).

والصراط في وجه آخر اسم حجج الله، فمن عرفهم في الدنيا وأطاعهم أعطاه الله جوزا على الصراط الذي هو جسر جهنم يوم القيامة، وقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «يا علي إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط، فلا يجوز على الصراط إلا من كانت معه براءة بولايتك»(٤٥).

❖ **الآراء الأخرى:**

الصراط في اللغة مأخوذ من «صرط» وهو الطريق المستقيم أو مأخوذ من «سرط» وهو السراط الطريق المستهسل، أصله من سرطت الطعام وزدته ابتلعته فقيل سراط[٤٦]، أما ما يخص معنى الآية فللمفسرين في معنى الصراط أربعة معان:

١) كتاب الله سبحانه وتعالى، وفي هذا المعنى جاءت روايات عن النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام وابن مسعود[٤٧].
٢) إنه الإسلام، وهو محكي عن جابر وابن عباس ومقاتل ورواية أخرى عن ابن مسعود[٤٨].
٣) إنه دين الله عز وجل، فلا يقبل من العباد غيره وهو المنقول عن محمد بن الحنفية[٤٩].
٤) إنه النبي الخاتم واهل بيته عليهم السلام وهو المروي في أخبار أهل البيت عليهم السلام[٥٠].
٥) غاية العبادة لله سبحانه، فيسأل العبد ربه ان تكون عبادته خالصة له سبحانه[٥١].

ويلاحظ على هذه القوال أن كلها تعد من التفسير الأثري إلا التفسير الأخير وهو ما قاله العلامة الطباطبائي.

❖ **الجمع أو الترجيح:**

الصراط هو الطريق الخطر السلوك، وهو الذي لا يميل بسالكه، ولا يضل بمهتديه مهما تشتت السبل وتفرقت.

إن الطرق الى الله مختلفة كمالاً ونقصاً، من جهة قربها الى الله والصراط المستقيم، كالإسلام والإيمان والعبادة والإخلاص والقرآن والنبي وآله كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام[٥٢].

والأولى: حمل الآية على عمومها، لأنا إذا حملناها على العموم دخل الجميع في ذلك، ولا معنى من التخصيص وتكون جميع الروايات صحيحة من باب النص على أحد المصاديق(٥٣).

الثاني: في قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾(٥٤).

لقد أورد الشيخ في هذا الباب عدة روايات من الفريقين حيث اورد ثلاث روايات عن العامة ينتهي سندها الى بعض أزواج النبيﷺ رواية عن حفصة واثنتين عن عائشة، منها هذه الرواية: "حدثنا علي‌بن‌عبدالله الوراق، وعلي‌بن‌محمدبن‌الحسن المعروف بابن مقبرة القزويني، قالا: حدثنا سعدبن‌عبدالله‌بن‌أبي خلف الاشعري، قال: حدثنا أحمدبن [أبي] الصباح، قال: حدثنا محمدبن‌عاصم الرازي، قال: أخبرنا أبونعيم الفضل‌بن‌دكين، عن هشام‌بن‌سعد، عن زيدبن‌أسلم، عن أبي يونس، قال: كتبت لعائشة مصحفا فقالت: إذا مررت بآية الصلاة فلا تكتبها حتى امليها عليك، فلما مررت بها أملتها علي "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر".

فبما أن عائشة تعتقد أن الآية نزلت بذكر صلاة العصر هذا دليل على أن المراد من الصلاة الوسطى ليس صلاة العصر كما ذهب بعض أهل العامة من هذا ومن متن الرواية لتقارب وقتي الصلاتين ومما نطقت به روايات أهل البيتعليهم السلام لساناً واحداً استدل الشيخ الصدوق على المراد من هذه الاخبار من أن المراد من الصلاة الوسطى صلاة الظهر.

ومن طرق الشيعة أورد روايتين ينتهي سندهما الى الأمام أبي عبدالله الصادقعليه السلام، من هذه الروايات هي قول الإمام الصادق: "حدثنا أبيرحمه الله قال: حدثنا سعدبن‌عبدالله، عن يعقوب‌بن‌يزيد، عن محمدبن‌أبي عمير، عن أبي المغراء حميدبن‌المثنى

العجلي، عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: صلاة الوسطى صلاة الظهر وهي أول صلاة أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله".

يقول الشيخ الصدوق بعد أن أورد هذه الروايات: "فهذه الاخبار حجة لنا على المخالفين، وصلاة الوسطى صلاة الظهر"(٥٥).

❖ **الأقوال الأخرى:**

اختلف المفسرون والفقهاء في معنى الصلاة الوسطى الى أقوال عدة حتى أن الآلوسي بلغ بها الى ثلاثة عشر وجهاً وهي كما يلي:

١) صلاة الظهر لأنها في وسط النهار وهي أول صلاة فرضت فلها الفضل في ذلك، وهو المروي عن أهل بيت العصمة عليهم السلام بالاتفاق، وكذلك مروي عن زيدبن‌ثابت وابن عمر وأبي سعيد الخدري وأسامة وعائشة وهو قول أبي حنيفة.
٢) صلاة العصر لأنها بين صلاتي النهار وصلاتي الليل، وهو وقت اشتغال الناس في غالب الأمر لذلك حض عليها وهو المروي عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و في رواية عن الإمام علي عليه السلام والحسن البصري وابن عباس وابن مسعود و قتادة و الضحاك و رواية عن أبي حنيفة وغيرهم.
٣) صلاة المغرب وهو رأي قبيصة بن ذؤيب لأنها وسط في القصر والطول
٤) صلاة العشاء لأنها تقع بين صلاتين لا يقصران -المغرب والفجر-.
٥) صلاة الفجر لأنها بين صلاتي الليل وصلاتي النهار ولأنها لا تجمع مع غيرها وهو قول جابر ومعاذ ومجاهد وعكرمة وعطاء وبه قال الشافعي
٦) صلاة الوتر
٧) صلاة الضحى
٨) صلاة عيد الفطر
٩) صلاة عيد الاضحى

١٠) صلاة الليل
١١) صلاة الجمعة
١٢) صلاة الجماعة، وهو قول الحسين‌بن‌علي المغربي، لأن الوسط هو العدل ولما لم يعدل فضل الجماعة أحد من الصلوات خصت بالذكر.
١٣) صلاة الخوف
١٤) واحدة من الصلوات الخمس غير مميزة، بل إن الله أخفاها بين الصلوات حتى يحافظ الناس عليها كما اخفى ليلة القدر في رمضان، في رواية عن ابن عمر والربيع‌بن‌خيثم وأبي بكر الوراق[٥٦].

❖ **الجمع أو الترجيح:**

اتفقت روايات أهل البيت عليهم السلام لسانا واحدا بل أن البعض قد ادعى الأجماع ٥٧ على أن المراد من الصلاة الوسطى صلاة الظهر[٥٨].

نعم وردت روايات على أنها الجمعة ولكن الظاهر من رواياتهم أنهم عليهم السلام أخذوا الظهر والجمعة في معنى واحد[٥٩].

ويدل على هذا المعنى ما جاء في سبب نزول الآية في حديث عن زيدبن‌ثابت قال: "إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يؤدّي صلاة الظهر جماعة والحرّ على أشدّه ممّا كان يثقل على أصحابه كثيراً بحيث أنّ صلاة الجماعة أحياناً لم تتجاوز صفاً واحداً أو صفّين، فهنا هدّد النبي صلى الله عليه وآله هؤلاء المنافقين ومن لم يشترك صلاة الجماعة بإحراق منازلهم، فنزلت الآية أعلاه وبيّنت أهميّة صلاة الظهر جماعةً بصورة مؤكّدة"[٦٠].

وبالإضافة للأخبار هناك قرائن كثيرة تدل على كون المراد منها صلاة الظهر، منها كونها تقع في وسط النّهار، حيث إن الناس كانوا يتخلفون عنها بسبب الحر أو بسبب اشتغالهم في هذا الوقت في أمور الدنيا والكسب فكانوا لا يعيرونها اهتماماً فنزلت الآية لبيان أهميتها[٦١].

الثالث: في قوله تعالى: ﴿....وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾[٦٢].

قال الشيخ الصدوق رحمه الله: "الكرسي أنه وعاء جميع الخلق من العرش والسماوات والأرض، وكل شيء خلق الله تعالى في الكرسي.

وفي وجه آخر هو العلم.

وقد سئل الصادق عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾؟

قال: (علمه)"[٦٣].

❖ **الأقوال الأخرى:**

وفي معنى الكرسي قال المفسرون أربعة وجوه هي:

١) إنه تصوير لعظمته سبحانه، فلا ثمة كرسي ولا قاعد ولا قعود[٦٤].
٢) وعن ابن عباس ومجاهد وهو المروي عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام: العلم، وسمي العلم كرسا ومنه الكراريس، او هو كناية عن عظم السلطان، ونفوذ القدرة[٦٥].
٣) الملك، مأخوذ من كرسي الملك[٦٦].
٤) هو خلق بين يدي العرش دونه السماوات والأرض ن وهو المنقول عن عطاء ورواية عن الإمام الصادق عليه السلام[٦٧].
٥) وعن الحسن قال: الكرسي هو العرش[٦٨].
٦) إن الله تعالى كرسياً ولكن ماهيته مجهولة عندنا وليس بمقدور البشر تصوره[٦٩].

❖ **الجمع أو الترجيح:**

يمكن تلخيص الآراء التي مرت بالآتي:

أولاً: أن يكون الكرسي متعلقاً بالله سبحانه: وعلى هذا يكون معنى الكرسي إما أن يكون علم الله أو قدرته أو ملكه أو تدبيره أو جميعها.

ثانياً: إنه من أوصاف الملكوت: فيكون معناه العرش كما قال الحسن أو إنه شيء دون العرش والأصل فيه العلم.

ثالثاً: إن كل الاحتمالات السابقة صحيحة: أما العلم، فلأنه يقال للعلماء الكراسي لأنهم المعتمد، أو قل هم أوتاد الأرض وكل أصل يعتمد عليه يمكن أن نقول له كرسي، ويمكن أن يكون الملك فيكون إطلاق الكرسي لله سبحانه تشبيهاً بكرسي الملك في الدنيا وهكذا[٧٠].

فقوله ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾ يشير الى حاكمية الله المطلقة، ونفوذ قدرته سبحانه، في السماوات والأرض، وفي الوقت ذاته تشير الى علمه النافذ وتدبيره، كما تشير الى عالم أوسع من هذا العالم فلما بين الله سبحانه أن كل ما في السماوات والأرض هو ملك له سبحانه أراد أن يبين احاطة علمه وسعة تدبيره فكان لابد من تقريبه الى اذهاننا فسلك مسلك التمثيل بالجسمانيات بسبب قصر ادراكنا وهذا ما ذهب اليه العلامة البلاغي[٧١] -والله العالم-.

النتائج

وبعد، فإني أحمد الله تعالى حمداً لا يقوى على إحصاءه غيره، وله الشكر على ما أنعم علي وأكرمني به من إتمام هذا العمل، بعد مزيد من الجد والاجتهاد، وقد توصلت الى النتائج الآتية:

١) لقد وافق الشيخ الصدوق جمهور المفسرين في تفسير القرآن، فكان يفسره بالرجوع الى القرآن تارة، والى السنة أخرى، والى أقوال اللغويين ثالثة، أما استنباطاته العقلية فكانت مبنية على الأخبار والآثار.

٢) يسند الشيخ الصدوق رحمه الله الكثير من المسائل والآثار التي يستدل بها، ما يدل على تمكنه في الحديث، وله دراية في أحوال الرواة، فقد كان محدثاً كبيراً، لذلك كان من أشهر العلماء في هذا الجانب.

٣) كان الشيخ شديداً في مجادلة الخصوم، وهذا ما تكشفه مجادلاته ومناظراته الكثيرة. ولا أذكرها هنا خشية الإطالة.

٤) كان الشيخ الصدوق يفسر القرآن الكريم وفق ما موجود في ذهنه وما وصل اليه من أحاديث أئمة الهدى عليهم السلام أو بالرجوع الى أقوال أهل اللغة والاختصاص في المجال.

هذا بعض ما توصلت اليه خلال هذه المدة التي عشتها مع الشيخ الصدوق رحمه الله في هذا الجهد المتواضع.

وأخيراً أسأله الله العظيم، أن يتقبله مني بقبول حسن، وأن يجعل هذا العمل خاصاً لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الأطيبين الطاهرين.

الحواشي

١) إبراهيم: ٣٤.
٢) سورة البقرة: ٢١٣
٣) سورة النساء: ٨٢.
٤) سورة النحل: ٤٤.
٥) محمد باقر الصدر، موسوعة السيد الشهيد الصدر، المدرسة القرآنية، ج ١٩، ص٣٢٩ ؛ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٤ ؛ السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص ٦٩٥ ؛ الزرقاني، مناهل العرفان، ج ٢، ص ٩.
٦) محمد هادي معرفة، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، ص ١٤.
٧) الطوسي: الفهرست، ١٥٧.
٨) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٦١.
٩) المصدر نفسه: ص ٠٢٦١
١٠) الصدوق، كمال الدين، ص ٥٠٢.
١١) النجاشي، رجال النجاشي، ص ٢٦١، ترجمة رقم ٦٨٤.
١٢) محمد علي الرضائي الأصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص٤٢.
١٣) الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص ١١، المقدمة.
١٤) إبراهيم، آية (٤).
١٥) يونس، آية (٩).
١٦) إبراهيم، آية (٢٧).
١٧) الصدوق، التوحيد، ص ٤٠٢، باب ٦٤.
١٨) الأنعام، آية (١٢٥).

١٩) الزخرف، آية (٦٣).
٢٠) الصدوق، التوحيد، ص ٤٠٤، باب ٦٤.
٢١) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ص ١٢٢.
٢٢) محمد علي الرضائي الأصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، ص ٩٩.
٢٣) الأنعام: ٤٠-٤١.
٢٤) الصدوق، التوحيد، ص ٢٢٤، باب ٣١.
٢٥) البقرة: ٢١٠.
٢٦) الصدوق، التوحيد، ص١٥٨، باب ٢٠٠
٢٧) الطباطبائي، الميزان، ج ٢، ص ٦٠.
٢٨) المائدة، آية (٦٤).
٢٩) الصدوق، التوحيد، ص ١٤٨.
٣٠) الشعراء: آية (١٩٣-١٩٥)
٣١) المائدة، آية (٦)
٣٢) الزمر، آية (٥٦).
٣٣) الصدوق، التوحيد، ص ١٦٠.
٣٤) السبحاني، المناهج والاتجاهات التفسيرية، ص ٧٧.
٣٥) الأعراف، آية (٥٤).
٣٦) الصدوق، التوحيد، ص ٣١٠، باب ٤٨.
٣٧) الأعراف، آية (١٨٥).
٣٨) الصدوق، التوحيد، ص ٢٩.
٣٩) المجلسي، بحار الأنوار، ج ١٠، ص ٤٠٥.
٤٠) الميزان، الطباطبائي، ج ١٧، ص. ٢٠٣.
٤١) الفيض الكاشاني، الصافي، ج ٩، ص ٢٢٩

٤٢) الصدر، رفع الشبهات عن الأنبياء، ص٥٨.
٤٣) الفاتحة، آية (٦و٧).
٤٤) مريم، آية (٧١).
٤٥) الصدوق، التوخيد، ص٧٠، باب ٢٦.
٤٦) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ج١، ص٣٦٩.
٤٧) ا لبغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص٥٤.
٤٨) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص٨.
٤٩) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٣٣.
٥٠) الطوسي، التبيان، ج ١، ص٤١.
٥١) الطباطبائي، الميزان، ج ١، ص٢٨.
٥٢) القمي، تفسير القمي، ج١، ص٥٣.
٥٣) الطوسي، التبيان، ج ١، ص٤٢.
٥٤) البقرة، آية (٢٣٨).
٥٥) الصدوق: التوخيد، ص٣٣٢.
٥٦) ينظر: الآلوسي، روح المعاني، ج ٢، ص٢٧١.
٥٧) الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ٣، ص١٤.
٥٨) العياشي، تفسير العياشي، ج ١، ص٢٤٤.
٥٩) الطباطبائي، الميزان، ج ٢، ص٢٢٠.
٦٠) الطبرسي، مجمع البيان، ج١، ص٣٤٢.
٦١) مكارم الشيرازي، الأمثل، ج ٣، ص٣٧.
٦٢) البقرة، آية (٢٥٥)..
٦٣) الصدوق، التوحيد، ص٣٢٧، باب معنى ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ**﴾، حديث ١.
٦٤) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج ١، ص.٢٨٦.

٦٥) الواحدي، الوجيز، ج ١، ص٦٩.
٦٦) الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص٢٢٥.
٦٧) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص١٣١.
٦٨) الطبرسي، مجمع البيان، ج ٢، ص١٣١.
٦٩) سيد طنطاوي، الوسيط، ج ١، ص٤٧١.
٧٠) الطوسي، التبيان، ج ٢، ص٣٠٨.
٧١) البلاغي، آلاء الرحمان، ج ١، ص٢٢٨.

المصادر

❖ **القرآن الكريم**

١) البحراني، العلامة المحدث السيد هاشم بن سليمان بن إسماعيل الكتكاني، البرهان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط ٢، ٢٠٠٦ م.

٢) الصدر، محمد باقر، موسوعة الإمام الشهيد السيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، نشر دار الصدر، مطبعة شريعت، قم المقدسة، ط ١، ١٤٢٩ هـ.

٣) الصدوق، أبوجعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، التوحيد، صححه: وعلق عليه السيد هاشم الحسيني الطهراني، مؤسسة النشر الإسلامي للطباعة والنشر، ط ١٠، ١٤٣٠ هـ.

٤) الصدوق: كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في قم المشرفة، ١٤٠٥ هـ.

٥) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تحقيق الشيخ أياد باقر سلمان، تقديم السيد كمال الحيدري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط ١، ٢٠٠٦ م.

٦) – الطوسي، أبوجعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي شيخ الطائفة، الفهرست، تحقيق الشيخ جواد القيومي، المكتبة المرتضوية، النجف الأشرف.

٧) الطبرسي، أمين الإسلام أبي علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، بيروت، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر، ط ١، ٢٠٠٥.

٨) السبحاني، الشيخ جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للطباعة والنشر، ط ٤، ١٤٣٢ هـ.

٩) معرفة، محمد هادي، التفسير والمفسرون في ثوبه القشيب، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضوية المقدسة، ط ٢، ١٤٢٤ هـ.
١٠) محمد علي الرضائي الاصفهاني، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، مركز المصطفى العالمي للدراسات والتحقيق، ط ٤، ١٤٣٧ هـ.
١١) محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، بيروت، دار الأندلس، ط ١، ١٩٦٣ م.
١٢) الفيض الكاشاني، محمد محسن، الصافي في تفسير القرآن، تحقيق السيد محسن الحسيني الأميني، مطبعة طهران، المروى، ط ١، ١٤١٩ هـ.
١٣) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار الجامعة لدرر أخبار الائمة الاطهار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ط ٢ المصححة، ١٩٨٣ م.
١٤) الألوسي، شهاب الدين محمودبن‌عبدالله الحسيني، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، تحقيق علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥ه.
١٥) البغوي، أبومحمد الحسين‌بن‌مسعود، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبدالله النمر - عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، الرياض، دار طيبة، ١٩٨٩م.
١٦) البلاغي، محمد جواد النجفي، آلاء الرحمان في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي،، ط ١.
١٧) البيضاوي، ناصر الدين أبوسعيد عبد الله‌بن‌عمربن‌محمد الشيرازي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمان المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١١.
١٨) الحر العاملي، الفقيه المحدث الشيخ محمدبن‌الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة.
١٩) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين‌بن‌محمد، المفردات في غريب القرآن، ضبطه هيثم طعيمي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠٨م.

٢٠) الزمخشري، أبوالقاسم محمودبن‌عمروبن‌أحمد جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التفسير، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧ه.
٢١) السبحاني، الشيخ جعفر، المناهج التفسيرية في علوم القرآن، قم، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام للطباعة والنشر، ط٤، ١٤٣٢ه.
٢٢) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،، ط١ المصححة والمزيدة، ٢٠١٣م.